

وسمعت طراد الزَّينبي وغيرهما، وقُرِيءَ عليها الحديث سنين، وعمرت حتى قاربت المئة، وذكرها جدي في «المشيخة». وقال: أخبرتنا شهدة الكاتبة بقراءتي عليها في صفر سنة سبع وخمسين وخمس مئة، وروى لنا عنها جماعة منهم جدي، وأبو محمد عبد العزيز بن دلف، وابن الأخضر وغيرهم، وكانت سالحة، ثقة.

علي بن جمال الدين^(١)

الوزير الأصبهاني، أبو الحسن.

[^(٢) قد ذكرنا أن صاحب الموصل استوزره، وله خمس وعشرون سنة، ثم قبض عليه سيف الدين غازي، فشفع فيه كمال الدين بن نيسان وزير صاحب آمد، وكان قد زوجه ابنته، فأطلقه، فسار إلى آمد مريضاً، فتوفي بدُنَيْسِر، فحمل إلى المَوْصل، فدُفِنَ بها إلى أوانِ الحج، فحمل إلى المدينة، فدفن عند أبيه، وكان أحسنَ خَلْقِ الله صورةً ومعنى.

[^(٣) انتهى تاريخ جدِّي المسمى بالمنتظم في هذه السنة]، وله تاريخٌ صغير سماه «درة الإكليل»، ذيل فيه من هذه السنة إلى أن حُمِلَ إلى واسط سنة تسعين وخمس مئة، غير أنه لم يستقص فيه الحوادث، ويقال إنه منه دخلَ عليه الحادث، والله أعلم.

السنة الخامسة والسبعون وخمس مئة

فيها ولَّى الخليفة قوام الدِّين يحيى بن زبادة حِجبة الباب، وعزَل عنها عَلم الدِّين طلحة بن البقشلان، ووقَعَ الغلاء والوباء ببغداد، فأكل النَّاسُ أولادهم، وماتوا على الطرق.

(١) له ترجمة في «كتاب الروضتين»: ٤١٩/٢-٤٢٠، «وفيات الأعيان»: ١٤٦/٥، و«سير أعلام النبلاء»: ٣٥٠/٢٠، وهو علي بن محمد بن علي بن أبي منصور الأصبهاني.

(٢) في (ح): أبو الحسن، سار إلى آمد...، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ح): انتهى تاريخ الشيخ جمال الدين بن الجوزي المسمى بالمنتظم في هذه السنة، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وزلزلت أرمينية وبلاد إزبل، وتصادمت الجبال بحيث كان بين الجبلين مسافة، فتقلعهما الزلزلة، فيصطدمان، ثم يعودان إلى مكانهما.

وفي سَلْخ ذي القعدة خطب المستضيء لولده أبي العباس أحمد النَّاصر بإشارة جهة الخليفة بنفشا، وكان الخليفة قد مرض في شَوَّال، وتوفي في ثاني ذي القعدة.

وفي ربيع الأول كانت وقعة مرج عيون، التقى صلاح الدين الفرنج على مرج عيون، فَأَسْرَ مَقْدَمَ الداوية والإستبار، وصاحب الطبرية، وابن بارزان صاحب نابلس والرَّملة، وقسطلان يافا، وصاحب القُدس، وصاحب جُبيل، وكانت وقعة عظيمة، فخلَّص بعضهم نفسه، ومات بعضهم في الأُسْر، وخالَصَ الفقيه عيسى، [وكان قد أخذ من الرملة، وقد ذكرناه]^(١)، وحُسِبَ من القطيعة بستين ألف دينار.

وقيل: إن وقعة مرج عيون كانت في المحرَّم، وهذه وقعة هُونين التي أُسروا فيها. وسار السُّلطان في ربيع الأوَّل إلى حِصْن يعقوب - ويسمى قصر يعقوب، وبيت الأحزان - عند المخاضة، فنَصَبَ عليه المجانيق، وخالَعَ على النَّقَّابين، وباشِر القتال بنفسه، فعلقوا النَّقُوب، وأحرقوا الأخشاب، فسقطت الأبراج، فصاحوا: الأمان. وعاجلهم المسلمون، ففتحوه عَنوَّة، وكان عَرَضُ سوره عشرة أذرع، وارتفاعه أربعين ذراعاً، فقتلَ المسلمون منهم ألفاً وخمس مئة، وخالَصوا من أسارى المسلمين مئة أسير، وكان بيت الأحزان - الذي يزعمون أن يعقوب عليه السَّلام كان ينفرد فيه، ويبكي على يوسف عليه السَّلام - كنيسة، فجعله السُّلطان مسجداً.

وذكر الشعراء هذا الحِصْن، فقال أحمد بن نفاذة الدَّمشقي، [ويلقب بالنَّشو]^(١):

[من المتقارب]

هلاكَ الفرنج أتى عاجلاً وقد آن تكسيرُ ضُلبانِها

ولو لم يكن قد أتى حَتْفُها لما عمَّرت بيتَ أحزانِها

وقال أبو الحسن عليُّ بن أحمد السَّاعاتي: [من الطويل]

وَقَفْتُ على حِصْنِ المخاض وإنه لموقفٌ حقٌّ لا يوازيه موقفٌ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وما رُفعت أعلامك الصُّفْر ساعة إلى أن غَدَتْ أكبادُها السُّود تَرَجُفُ
أَيْسُكُنْ أوطانَ النَّبِيِّينَ عُضْبَةً تَمِينُ لَدَى أَيْمانِها وَهِيَ تَحْلِفُ
نَصَحْتُكُمْ وَالنُّضْحَ فِي الدِّينِ وَاجِبُ ذَرُوا بَيْتَ يَعْقُوبٍ فَقَدْ جَاءَ يَوْسُفُ^(١)

وكتب الفاضل إلى بغداد كتاب الفتح، فأمر الخليفة بضرب البوقات والدباب على أبواب الأمراء ما عدا طبول الخليفة، ولم يشهد تقي الدين هذه الغزاة، لأن قليج رسلان نزل على حصن رعبان في عشرين ألفاً، وادّعى أنه له، فسار تقي الدين إليه في ألف فارس، فهزمه، فكان تقي الدين يُدِلُّ بهذه الواقعة حيث هَزَمَ ألوفاً بألف.

وفيهَا حَتَنَ السُّلْطَانِ وَلَدَهُ الْعَزِيزِ عَثْمَانَ، وَاتَّخَذَ لَهُ يَوْسُفَ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَيَعْرِفُ بِابْنِ الْمَجَاوِرِ مَعْلَمًا.

وَتَسَلَّمَ فَرُخْشَاهُ بَعْلَبَكَ، وَمَاتَ الْمُسْتَضِيءُ.

الباب الرابع والثلاثون

في خلافة الناصر لدين الله أحمد

وكنيته أبو العباس، ولد سنة اثنتين أو ثلاث وخمسين وخمس مئة، وأمه زُمُرْد خاتون أم ولد، وكانت بيعته يوم الاثنين ثاني ذي القعدة، وله ثلاث أو اثنان وعشرون سنة، وتولّى أخذ البيعة له ظهير الدين ابن العطار صاحب المخزن، على الرّغم منه، لأنّه كان يميل إلى أخيه الأمير أبي منصور خائفاً من أبي العباس، وانتظر مساعدة بنفسها، فلما جاءه أمر بالخطبة لأبي العباس، أسقط في يده، وساعد بنفسها مجدّ الدين ابن الصاحب أستاذ الدار، وطاشتكين أمير الحاج، ثم قُتِلَ ابنُ الصَّاحِبِ، وَحُبِسَ طاشتكين بعد ذلك، وَحَضَرَ الْقَضَاةَ وَالْأَشْرَافَ وَبَنُو هَاشِمٍ وَغَيْرِهِمْ وَأَخُوهُ أَبُو مَنْصُورٍ، وَضِيَاءُ الدِّينِ الشَّهْرُزُورِيُّ رَسُولُ صِلَاحِ الدِّينِ، وَبَايَعُوهُ، وَقَبِضَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى سَعْدِ الشَّرَابِيِّ، وَأَحْسَنَ إِلَى بِنَفْسِهَا، وَكَانَ الْمُسْتَضِيءُ أَرَادَ أَنْ يَعْهَدَ إِلَى الْأَمِيرِ أَبِي

(١) ليست هذه القصيدة في ديوانه المطبوع، وقد استدرکها محققه من «كتاب الروضتين»: ٣٨-٣٩، انظر

منصور، فقالت له بنفسها: اللّٰه اللّٰه أن تعدّل عن أبي العباس، فرأى لها ذلك، وبعث شيخ الشيوخ عبد الرحيم وصنّد الخادم إلى صلاح الدين بالبيعة.

وفي يوم الجمعة سابع ذي القعدة قبض على ظهير الدين [ابن العطار]^(١) صاحب المخزن، وعلى مسعود النقيب.

وحجّ بالنّاس من العراق طاشتكيين، ومن الشّام صفي الدين بن القابض؛ وزير صلاح الدين.

وفيها توفي

إسحاق^(٢) وإسماعيل ابنا أبي منصور^(٣)

موهوب بن الجواليقي.

[^(٤) فأمّا إسحاق فكنيته أبو طاهر، ولد في سنة تسع عشرة وخمس مئة^(٥)، وقرأ على أبيه الأدب والحديث، وسمع من ابن الحصين وغيره، ومات في رجب، ودفن بباب حرب.

وأما إسماعيل فكنيته أبو محمد، ولد سنة إحدى عشرة وخمس مئة، وقرأ على أبيه الأدب وبرع فيه، وسمع من ابن الحصين وابن السمرقندي وغيرهما، وأقرأ الأدب بعد أبيه، وروى عنه جماعة منهم عبد العزيز بن الأخضر، وكان شيخنا، وكان يثني عليه ويقول: هو في النسك والعبادة أبلغ من أبيه، قال: وأنشدنا لإبراهيم نفظويه]: [من البسيط]

اقبل معاذير مَنْ يأتيك مُعتذراً إن بَرَّ عندك فيما قال أو فَجراً
فقد أطاعك مَنْ أرضاك ظاهراً وقد أجلك مَنْ يعصيك مُستترا

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «معجم الأدباء»: ٨٩٨٨/٦، «إنباه الرواة»: ٢٣٠/١، «الوافي بالوفيات»: ٤٢٧/٨.

(٣) له ترجمة في «معجم الأدباء»: ٤٧-٤٥/٧، «إنباه الرواة»: ٢١٠-٢١١/١٠، «الوافي بالوفيات»: ٢٣٠/٩،

«ذيل طبقات الحنابلة»: ٣٤٧-٣٤٦/١، «بغية الوعاة»: ٤٥٧/١، «شذرات الذهب»: ٢٥٠-٢٤٩/٤.

(٤) في (ح): ولد إسحاق سنة تسع عشرة وخمس مئة، ومات في رجب، ودفن بباب حرب، ولد إسماعيل سنة إحدى عشرة وخمس مئة، وكان في النسك والعبادة أبلغ من أبيه وأنشد لإبراهيم نفظويه، والمثبت ما بين

حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في «معجم الأدباء» و«إنباه الرواة»: ولد سنة سبع عشرة وخمس مئة، وهو الأشبه بالصواب.

المستضيء بأمر الله^(١)

أبو محمد، الحسن بن يوسف المستنجد.

كان [جواداً]^(٢) عادلاً، شريف النفس، حسن السيرة، ليس للمال عنده قدر، حليماً، مُشفقاً على الرعية، أسقط المكوس والضرائب، وكان متواضعاً، وتوفي ثاني ذي القعدة، عن ست وثلاثين سنة، وكانت خلافته تسع سنين وستة أشهر وعشرين يوماً، ودُفن في داره، ثم نُقل بعد ذلك إلى تُرْبته المجاورة لجامع فخر الدولة^(٣).

ذِكْرُ حاشيته ووزرائه:

وَزَرَ له عضد الدولة ابن رئيس الرؤساء، وأبو الفضل زعيم الدين بن جعفر، ومحمد ابن محمد بن عبد الكريم الأنباري، ومات في الوزارة ظهير الدين ابن العطار، وكان على قضاء القضاة أبو الحسن علي ابن الدامغاني، وعلى الحجابة مجد الدين أبو الفضل الصاحب، وأبو سعد محمد بن المعوج، وكان له ولدان أبو العباس أحمد، وأبو منصور هاشم.

علي بن أحمد بن محمد بن عمر بن الحسين^(٤)

ابن هبة الله بن الحسين بن علي بن يحيى بن أحمد بن زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسن العلوي الزيدي.

ولد سنة تسع وعشرين وخمس مئة، وسمع الحديث الكثير، ولما عاد [عضد الدين]^(٢) ابن رئيس الرؤساء إلى الوزارة بعث إليه بألف دينار، وكتب إلى المستضيء يقول: إنني نذرتُ إن عدتُ إلى الوزارة بعثتُ إلى الشريف بألف دينار، فقال المستضيء: أنا أحمل إليه ألف دينار، وقالت بنفسها: وأنا أيضاً أحمل إليه ألف دينار، فحمل الجميعُ إليه، فلم يتصرف فيها، واشترى بها داراً بدر دينار الصغير، وبنها

(١) سلفت أخباره في هذا الكتاب، وانظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٦٨-٧٢.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) فخر الدولة: هو الحسن بن هبة الله، ستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٧٨هـ).

(٤) له ترجمته في «ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار: ٣/١٥٨-١٦٢، و«سير أعلام النبلاء»: ١٠٤-١٠٥،

وفيه تمة مصادر ترجمته.

مسجداً، واشترى بياقي الذهب كُتُباً، ووقفها في المسجد [يتنفع الناس بها، وهي باقية إلى هلمَّ جراً، وكانت وفاته في شوال، ودفن في المسجد]^(١) المذكور، [سمع أبا الفضل بن ناصر وغيره]^(١)، وكان سيِّداً جليلاً، نبيلاً زاهداً، ورِعاً.

عَلَم بنت عبد الله بن المبارك^(٢)

زوجة الزبيدي^(٣) [شيخ الوزير ابن هُبيرة]^(١)، كانت تضاهي رابعة العدوية، وتقرأ القرآن، ولا تَقْتَرُ من الذُّكْرِ، ولم يكن في زمانها مثُلها، وكانت صابرةً على الفقر، ورِعَةً، مَرِضَ ولدها أحمد ابنُ الزبيدي، فاحتُضِر، وجاء وقتُ الصَّلَاة، فقالت: يا بني ادخل في الصَّلَاة، فدخل وكبَّر، فمات، فخرجت إلى النساء، وقالت: هئنني. قلن: بماذا؟ قالت: مات ولدي في الصَّلَاة.

توفيت ببغداد، وعمرها مئة سنة وست سنين، ولم يتغيَّر عليها من حواسها شيء، [بل كانت كأنَّها يوم ولدت]^(١).

محمد بن الحسين بن الحسن^(٤)

أبو الفرج [الهيثي]^(١)، ولد بهيت^(٥) سنة خمس وتسعين وأربع مئة، وسكن بغداد، وكان فاضلاً، فمن نظمه: [من السريع]
يا راقداً أسهَر لي مُقْلَةً
ما أن للهجران أن ينقضي
إن كنت ما ترَحْمُني فارْتَقِبْ
عزيزةٌ عندي وأبكاها
عن مُهْجَةٍ هَجْرُك أظْناها
يا قاتلي في قتلي اللة
ومن نثره: من كان الصَّمْتُ شجرته كانت السَّلَامَةُ ثمرته. وفي احتراز اللبيب ما يُعْنيه عن الطيب، من ترك المِرا استمال الوَرَى.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) لها ترجمة في «النجوم الزاهرة»: ٨٥/٦.

(٣) هو محمد بن يحيى، سلفت ترجمته في وفيات سنة (٥٥٥هـ).

(٤) له ترجمة في «الخريدة» قسم شعراء العراق: مج ١/ج ٤/٢٨٦-٢٨٨، «الوافي بالوفيات»: ٢٠-١٩/٣.

(٥) هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار، «معجم البلدان»: ٤٢١/٥.

وكانت وفاته في شعبان، ودفن بباب حرب، [سمع عبد الوهَّاب الأنماطي وغيره، وروى عنه شيوخنا]^(١).

[فصل: وفيها توفي

محمد بن محمد بن عبد الكريم^(٢)

أبو الفرج ابن الأنباري، كاتب الإنشاء بديوان الخليفة، ولد سنة سبع وخمس مئة، وهو من بيت الرياسة والكتابة، ناب في الديوان حين توفي والده سديد الدولة في سنة ثمان وخمسين وخمس مئة إلى هذه السنة، وكانت وفاته في ذي القعدة، وصلي عليه بجامع القصر، ودفن عند والده بمقابر قریش.

سمع أبا محمد بن أحمد السمرقندي وطبقته، وكان فاضلاً عاقلاً، نزهاً عفيفاً.

وفيها توفي

محمد بن علي بن محمد^(٣)

أبو الفتح الدامغاني، ابن قاضي القضاة أبي الحسن، من بيت الرياسة والفضل والقضاء، استنابه أبوه في القضاء، وكان فاضلاً نزهاً، عفيفاً، توفي وهو شاب في شوال، ودفن بنهر القلائين، وبها كانت منازلهم]^(١).

محمد بن علي بن حمزة^(٤)

أبو يعلى، قُطب الدين الرّيدي، ويعرف بابن الأُقّاسي، ولد بالكوفة سنة سبع وتسعين وأربع مئة، وكان نقيب العلويين بها، فاضلاً، قدم بغداد، وسمع الحديث، وتوفي في شوال، ودفن بالشُّونيزيّة، ومن شعره: [من المديد]

رَبِّ قَوْمٍ فِي خَلَائِقِهِمُ
سَتَرَ الْإِثْرَاءَ عَيْبَهُمُ
عَرَّرَ قَدْ صُيِّرُوا غُرَرًا
سَتَرَى إِنْ زَالَ مَا سَتَّرَا

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «الكامل»: ٤٦١/١١.

(٣) له ترجمة في «الجواهر المضية»: ٢٥٣-٢٥٤/٣.

(٤) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ١٥٦-١٥٥/٤.

وقال: [من الطويل]

وكنْتُ إذا خَصَمْتُ خَصْماً كَبَبْتُهُ على الوجهِ حتى خَاصَمْتَنِي الدَّرَاهِمُ
فلَمَّا تَنَازَعْنَا الخُصُومَ تَحَكَّمْتُ عَلَيَّ وَقَالَتْ قُمْ فَإِنَّكَ ظَالِمٌ

مسعود^(١) نقيب باب النوبي^(٢)

كان بين يدي [ظهر الدين]^(٣) ابن العطار، وكان قاسياً فاتكاً جباراً لا يعرف الرحمة، كم أتلّف من السباب بالقتل والصلب والقطع، وأخذ أموال الناس، وكان ابن العطار يقويه على ذلك، فلما كان اليوم الذي ولي فيه الإمام الناصر، قبض عليه، وكان عنده منه المقيم المقعد، فضرب بالسيف، ومثّل به أقيح مثلة، وسلم إلى عوام بغداد، فشدوا في رجله شريطاً، وسحبوه في دروب بغداد وهم يقولون: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٌ﴾ [هود: ٨٣]. يعنون ابن العطار، ثم أحرقوه، وذرّوا رماده في دجلة.

منصور بن نصر بن الحسين^(٤)

ظهر الدين، أبو بكر ابن العطار، صاحب المخزن، نائب الوزارة، [وقد ذكرنا أنه كان سبباً لقتل الوزير ابن رئيس الرؤساء، و]^(٣) كان في عزمه أن يولي الخلافة أبا منصور، فانخرقت عليه القواعد، فلما بُويع الإمام الناصر لم يحضر، واعتذر بالمرض، وإنما كان به مَرَضُ القلب حيث تيقن الهلاك، فقبض الخليفة عليه في السابع من يوم بيعته، ووكل به في حجرة في داره، وقبض على أصحابه، ونُهبت دورهم،

(١) انظر خبره كذلك في «الروضتين»: ٥٣/٣.

(٢) باب النوبي: كان يقع في سور دار الخلافة ببغداد إلى الشرق من باب بدر، وهو باب كبير لدار الخلافة، ويسمى أيضاً باب العتبة، فقد كانت فيه العتبة التي يقبلها الرسل والأمراء والملوك ورؤساء الحجاج إذا قدموا ببغداد، وكان هذا الباب في بعض الأدوار باباً رئيساً لقصور الخلافة. انظر «دليل خارطة بغداد»: ١٥٨-١٥٩.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) سلفت أخباره في هذا الكتاب، وله ترجمة في «الروضتين»: ٥٣-٥٢/٣، «سير أعلام النبلاء»: ٨٥-٨٤/٢١، و«المختصر المحتاج إليه»: ١٩١/٣، و«النجوم الزاهرة»: ٨٥/٦.

ونهب العامة داره، وأحرقوا سقوفها، وكانت على دجلة، فلما كانت ليلة السبت ثامن ذي القعدة نُقِلَ إلى التَّاج، وقيد، وأُخرج ليلة الأربعاء حادي عشره ميّاً، وفيه آثارُ الضَّرْب، فيقال: إنّه مات تحت الضَّرْب، فسُلِّمَ إلى أخته، فغسَلَتْه وكفَّتته، فلما كان وقتُ الفجر من يوم الأربعاء أخرج تابوته على رؤوس الحَمَّالين ليذهبوا به إلى قبر الإمام أحمد رحمة الله عليه، وبلغ التَّابوت عقد الحديد، فصاح بعضُ الناس: يا عوام، هذا ابنُ العَطَّار الذي سلط عليكم مسعود النقيب [وأخذ أموالكم، وفعل وفعل]^(١)، ورجمه بأجرّة، وتتابع الرِّجْم، فرمى الحَمَّالون التابوت وانهمزوا، فجردوه من الكفن، وشدُّوا في رِجله شريطاً، وسحبوه إلى دروب بغداد، [وصاحوا عليه: يا عجيل ابن عجيل، وشوهوا به]^(٢)، ومثلوا أقبح مُثله، وكان مسيئاً إلى [الشيعة أهل المختارة والكرخ ومشهد موسى بن جعفر، وقطع أرزاقهم وبدد شملهم]^(٣)، ثم جمعوا له حطباً ليحرقوه بعد أن قطعوا لحمه قطعاً، فركب قطروش الشُّحنة، وأراد [أن يخلصه]^(٤) منهم، فرجموه وقاتلوه إلى الليل، [فحجز الليل بينهم]^(٥) وبقي من لحمه قطعة، فجاء ناسٌ، فدفنوها عند مقابر الإمام أحمد ابن حنبل.

وظهير الدين هذا هو ابنُ الشيخ نَصْر [ابن العطار]^(٦) الحرَّاني، صاحب الصدقات والمعروف والبرِّ والصَّلات والفضائل والكرامات، وقد ذكرناه [في سنته التي توفي فيها]^(٧).

السنة السادسة والسبعون وخمس مئة

فيها استناب الخليفة في الوزارة جلال الدين هبة الله بن البخاري، وكان قد استناب سليمان بن ساروس بعد ابن العَطَّار في السنة الماضية، فأقام فيها ثلاثة أشهر، فعزله في المحرَّم في هذه السنة، لأنّه ظلم، ومدَّ يده إلى الأموال.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح): إلى الخلق، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ح): خلاصه، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).